

الخلق والبناء في النصّ الحسنيّ
بَحْثٌ فِي مُفْرَدَاتِ الوَعْيِ

**Creation and Construction
in the Hasanist Text
A Research Study
on Perception Diction**

أ.م.د. عَبْدُ الحُسَيْنِ العَمْرِيّ

جامعة ذي قار . كلية الآداب

قسم اللغة العربية

Asst. Prof. Dr. Abdulhussein AL-Amri

Department of Arabic

College of Arts . University of Thiqr

abdalhusan12@gmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

ملخص البحث

يتناول البحث مفهومي الخلق والبناء فكرياً في النصوص الواردة عن الامام السبط الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) من جهة مفردات الوعي التي يركز عليها مثل هذه المفاهيم في انتاج الوعي المقابل لدى المتلقي بغية تنشيط الذاكرة التي باتت يتمركز فيها الصداً تمرکزاً مقرفاً نتيجة اهمالها؛ إذ إن النص الحسيني بوصفه نصاً ينتمي إلى دائرة الوجود النوعي، وجد من مهامته القصوى أن فاعليته في تنشيط الذاكرة المندثرة بتفعيل جانب الوعي فيها، تعدّ المهمة الأنجع في هذا المضمار، على الأقل ضمن بعدها الزماني والمكاني الذي أنتجت فيه، فضلاً عن انفتاحها باتجاه فضاءات أخرى تبيحها له حركة الزمن مقرونة بتغير المكان وحركة تلقي النص الحسيني نفسه.

ABSTRACT

The study tackles the concepts of the creation and the intellectual construction in the texts of imam Al-Hassan Bin Ali Binabitalib (Peace be upon them) on the scale of the perception diction such concepts depend on to provoke the perception of the interlocutor into stimulating the memory prone to desuetude, so the Husseinist text pertains to the quality existence and found to be, as its essential roles, an impetus to invigorate the memory through perception: it is the greatest endeavour in such a field at least for its time, place and scope where they are created, besides, and it finds extent in other spaces having time expansion pertinent to the change of place and the act in which the Husseinist text is perceived.

... مقدمة ...

لعل مفهوم الخلق والبناء من المفهومات التي مازالت في طور النمو الفكري التأسيلي، في النص الأدبي خاصة، لكنها بوصفها مفردات وجودية تنتمي في ارتكازها المعجمي جذرياً إلى العلوم الفلسفية والمنطقية، فمجالها هو ذلك، لكن تداخل العلوم الانسانية جعلت من هذين المفهومين يدخلان بقوة في مضمار الأدب أو النص على وجه الخصوص؛ لأن مسألة ابداع النص تبدأ منذ لحظة خلقه ذهنياً، ثم يجري بناؤه تدريجياً بالتشكيلات اللفظية التي تسمى جملاً في العرف النحوي.

فرضية البحث

يفترض البحث أن هناك توظيفاً ضمناً لمفردات الوعي التي يقوم عليها التفكير البشري في النص الحسني، من خلال تفعيل تلك المفردات في سياقاتها الفكرية واللغوية.

هدف البحث

يهدف البحث إلى استجلاء تلك المفردات وبيان عملها في منظومة الوعي البشرية من خلال دراسة النص الحسني دراسة معمقة، بوصفه نصاً ينتمي إلى دائرة الوجود الواعي المتناغم مع حركة الوجود.

عينة البحث النصية

نص الامام الحسن عليه السلام الذي نحن بصددده هو

«... فاستجيبوا لله وآمنوا به فإنه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعاضم، فإن رفعة الذين يعلمون ما عظمة الله أن يتواضعوا، وعزُّ الذين يعرفون ما جلال الله أن يتذللوا له، وسلامة الذين يعلمون ما قدرة الله أن يسلموا له ولا ينكروا أنفسهم بعد المعرفة ولا يضلوا بعد الهدى، واعلموا علماً أنكم لن تعرفوا التقى حتى تعرفوا صفة الهدى، ولن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نبذه، ولن تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذي حرّفه، فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلف ورأيتم الفرية على الله والتحريف.... إن في ذلك لذكرى للذاكرين واعقلوه اذا سمعتموه عقل رعايته ولا تعقلوه عقل روايته...»^(١).

اجراءات البحث

لابد من التطرق، أولاً، إلى ما يعنيه مفهوم الخلق والبناء، فالخلق يعني في جذره المعجمي «ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه»^(٢)، و«الخلقة الفطرة»^(٣)، أما البناء فهو يعني معجمياً «بناء الشيء بضم بعضه إلى بعض»^(٤)، ولا أريد الاسترسال هنا في معنى المفهومين معجمياً، فالمعنى الاصطلاحي لهما ليس بعيداً عن المعنى المعجمي. والمقصود منه اصطلاحياً هنا هو مفهوم الخلق فكريباً في تلافيف الوعي الذاتي، أي الخلق المجرد دون تلامسه مع قوالب البناء التي أتاحتها اللغة في ملفوظاتها المتعددة، والبناء هو استعمال الألفاظ المناسبة لذلك الخلق الذي يقوم الفكر بإنتاجه مجرداً، وطبيعة ذلك الاستعمال الذي ينبئ عن تصور كوني وجودي يفتح فضاءاته على كل المعاني الاخلاقية والموضوعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.. الخ.

وعلى هذا يقوم النص بأداء واجبه الانساني من خلال انتاج أفكاره التي يقوم الوعي بتفريدها، ثم دمجها مع بعضها بطريقة ذكية، تقوم هذه الطريقة أصلاً على قراءة الحركة الاجتماعية قراءة تتصف بالواقعية، والتي هي المرتكز المهم في ذلك؛ لأن «انتاج الأفكار، المفاهيم، والوعي، هو في البدء متمازج بشكل مباشر مع الفعالية المادية، وعلاقات البشر المادية، التي هي لغة الحياة الواقعية»^(٥)، ما يعني أن الفعالية الفكرية للإنسان تنتمي إلى واقعيتها في حالة الانتاج الفكري المرتبط بالقوى المنتجة له نفسها، ومدى التطابق معها ايديولوجياً.

خلق النص وبناءه

ينطلق الامام الحسن عليه السلام من قاعدة فكرية رصينة قد تشربت مفاهيم القرآن الكريم بطريقة عقلانية واعية، فكان الوعي لديه بحركة الكون في أعلى درجاته؛ لذلك كان النص الحسيني يعتمد في خلق نفسه وبنائها على الوعي الذي يتناغم مع الفكر بشكل تصاعدي في الحالتين، ايجاباً أو سلباً، والفكر بدوره يستعين باللغة؛ لأن «الفكر يسبق اللغة من الناحية الزمنية... وأن العلاقة بين الفكر واللغة هي علاقة تبادل التأثير والتأثير»^(٦) بما يجعلها بمنزلة التوأمين اللذين يسند كل منهما الآخر في الارتقاء والنكوص، ويعتمد في بنائه على اللغة التي هي توأم الفكر في التعبير عن الرؤية الواعية التي تستوعب حركة الوجود كميّاً ونوعياً، وهذا يعني أن المثلث الذي ترتكز عليه تلك الرؤية الواعية، يقوم على أساساته الثلاثة التي هي (الوعي، الفكر، اللغة)، واللغة هنا بوصفها نظاماً رامزاً، فهي تتحول إلى وسيلة من خلال طرح مفرداتها للمتكلم؛ لكي يكون لديه نمط تعبيرى يتساوق مع الوعي والفكر الذي ينتج مجموعة الافكار التي تحتاج إلى بناء معماريتها اللفظية للتمييز بين الأشياء والظواهر الى اللغة، بالرغم من أن الألفاظ المفردة التي تمتلكها اللغة تعبر

عن مضامين معجمية، في اغلب الأحيان، لا علاقة لها بالمضمون السياقي الذي وضعت فيه، لكنها تعطي دفعا للمعنى حينما تنتظم في سياق الخطاب؛ لتتحول إلى منحى جديد في المعنى ربما يكون تأويلياً أو تفسيرياً أو أي معنى آخر؛ إذ إنها في ذلك غالباً ما تتخلى عن معناها المعجمي لتغادره إلى معنى يتلاءم وطبيعة عملها الجديد في سياق الخطاب.

أما الوعي فهو «الوجود الواعي، ووجود البشر في تقدم حياتهم الفعلية»^(٧)، أو هو «شعور الكائن الحي بنفسه، وما يحيط به»^(٨)، وهو بذلك يستولي على مقتنيات فكرية تتناسب مع ذاته الواعية من خلال ادراك الحاجات الاساسية الواقعية التي تعبر عن وجه الحقيقة المرتبطة بالوعي بحركة الوجود، وهو يمثل هنا منظومة أخلاقية عقائدية اقتصادية اجتماعية... الخ، تقود الحياة إلى حيث مرفأ أمانها الحتمي، وهو ما كان النص الحسني قد تناوله في كثير من مفردات الوعي -موضوعة البحث-.

بالإضافة إلى مجموعة المفاهيم والمبادئ والقيم واتساع الخيال وما يمتلكه الفرد من نظم تفكير وأفكار فاعلة وتجارب يعيشها، ولعل الأدوات التي تقوم بتشكيل الوعي وتسهم في منحنا فرصة الحكم على الأشياء من خلالها، تمثل مرشحات ترينا ما يدور حولنا من وقائع وأحداث ونصدر أحكامنا عليه؛ إذ إن نشوء تلك التقاطعات أو التآلفيات في النص تدرج ضمن فلسفة الوعي الذي يميل إلى ترميز الأشياء، في مسعى حثيث يحاوله لتكتمل لديه منظومته الفاعلة؛ لأنها الشكل الأسمى والأكثر تعقيداً في خاصيته المميزة، التي يمكن أن نسميها لحظة الانعكاس الكلي لكيثونة وجوده. وأولى مفردات الوعي التي تعدّ ركيزة مهمة في ذلك، هي:

١. المعرفة

هي «الاعتقاد الصادق مصحوباً بتبرير لهذا الاعتقاد»^(٩) وهي ليست هدفاً في حد ذاتها، بالرغم من أنها تعد بناءً مفاهيمياً يخضع للتقنية الفكرية التي تقوم على أساس الموازنة بين الحدس والفكر الذي يتمثل منتجه الواعي عن طريق الربط بين العلة والنتيجة، وهو ما بدأ به النص الحسيني، حينما أشار بشكل جلي إلى أهمية المعرفة في العلاقة مع الله سبحانه وتعالى، فالإمام الحسن عليه السلام في قوله «... فاستجيبوا لله وآمنوا به فإنه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعاضم...» ربط بين المعرفة بالله تعالى وبين السلوك البشري الذاتي؛ إذ إن سلوك التكبر لا يليق بمن عرف الله معرفة حقيقية، والمعرفة تستدعي الاستجابة الحقة والايان الصحيح، وهو هنا قدّم النتيجة على السبب، في إشارة هامة للاستجابة المبنية على رؤية ومعرفة عميقة تنساق إلى الممايزة والتعاليق المعرفي بين متبنيات معرفية تقوم عليها العلاقة بين العبد وربّه، وهو ما يمكن أن نجده بين فكرتين في النص الحسيني هما (التقى والهدى) وردتا في قول الامام الحسن عليه السلام «... واعلموا علماً يقيناً أنكم لن تعرفوا التقى حتى تعرفوا صفة الهدى...»، فقول الامام الحسن عليه السلام حينما ربط معرفة التقى بمعرفة صفة الهدى ليس اعتباطاً، بل هو يقيم تجسيراً واعياً بين هاتين المفردتين سلوكياً بعد ربطهما بشكل مجرد من خلال عمل العقل بوصفه من أدوات المعرفة وبوتقتها المنتجة؛ لأنه «القوة المدركة للكليات في الانسان... الذي يمثل مرتبة من مراتب الادراك وراء الحس والخيال والوهم وبه يتميز عن بقية الحيوانات»^(١٠)، بمعنى أن العقل هو المتبني للوعي في دائرة الوجود، ما يجعله يتهاوى معه بوعي وجودي كامل، يلخصه قوله حينما تم استنطاقه في لحظة الأولى؛ إذ قال له «أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال له: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منك، ولا أكملك إلا في من أحب، أما إني إياك أمر وإياك أنهى»^(١١)، وإلى ذلك أشار أمير

المؤمنين علي عليه السلام حينما قال «من عرف نفسه فقد عرف ربه»^(١٢)، وعليه، فالمعرفة هنا تعد إحدى مرتكزات الوعي النافذ الذي يتفاعل مع الوجود بحركة واعية تتمثل ديناميكياً من خلال المدركات والقيم والمعارف التي يحصل عليها من حركة الحياة المتواشجة مع الرؤية الجمعية التي تتولى توجيه منطلقات المجموع معرفياً، وقد ركز الإمام الحسن عليه السلام في النص المشار إليه آنفاً على أن العلم اليقيني لا يقوم إلا على معرفة التقى من خلال معرفة صفة الهدى وليس العكس، وبذلك يؤسس معرفة خالصة تستوعب الوجود للوصول إلى الوعي المتسامي الذي يعدّ ذا تأثير مباشر على صياغة المنهج الأخلاقي الصحيح في السلوك وتحديد الأهداف واتجاهات حركة الحياة بشكل متصاعد وصولاً إلى المعرفة الحقيقية في معرفة النفس التي هي الطريق الأمثل للمعرفة الربانية، وهي الحقيقة التي أرادها النص الحسني حينما حدد سبيل معرفة التقى بمعرفة صفة الهدى التي عليها تبنى المعرفة اليقينية.

والنص الحسني يشير إلى مسألة غاية في الدقة، وهي قوله عليه السلام «...حتى تعرفوا صفة الهدى...» ولم يقل «حتى تعرفوا الهدى»؛ لأن الهدى سلوك تطبيقي لا تنظيري، فالذي لديه هدى تجده يسلك سلوكاً ربانياً، تراه في عمله وقوله وفعله، والهدى منظومة عملية تطبيقية ترقى في الفعل بصاحبها إلى الأعلى الذي يجد نفسه بشكل حقيقي كلما ارتقى في وعيه.

٢. التفكير والتفكير

هو الفعل العقلي المعرفي الذي يقوم به الانسان في محاولته قراءة النظام الكوني ومفرداته المكونة له للوصول إلى معرفة الخالق عز وجل والعلم بقدرته العظيمة، واستكناه مفهوم الحقيقة بشكل عقلي؛ لأن الحقيقة تتكئ على قيمة الأشياء، وكل قيمة تؤدي إلى حقيقة معينة، ومن هنا فإن علينا أن نفهم أن العقلانية والحقيقة

مفهومان متلازمان^(١٣)؛ إذ إن العقلانية هي نتاج جهد التفكير والتفكير في سبر أغوار الكون بطريقة واعية لحركته، وقد جاء في النص الحسيني ما يشير إلى ذلك أو يتناوله بطريقة التلميح لا التصريح، هو قوله عليه السلام «... فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلف ورأيتم الفرية على الله والتحريف...»؛ إذ تنصب المعرفة العقلانية على أساس معرفة الحقيقة والتفكير فيها والاهتداء من خلال التفكير إلى معرفة الأشياء ونقائضها على وجه الدقة، وهي عملية بحث دائم وتفكير عميق وصولاً إلى ماهية الحقيقة، وبذلك فإن رؤية الفرية والتحريف تعدّ وجهاً من وجوه معرفة الحقيقة، فضلاً عن أن معرفة البدع والتكلف ينشأ عن معرفة الكتاب وتلاوته حق تلاوته، والمقصود هنا ليس القولية، بل المقصود من ذلك الفهم العميق للكتاب وتطبيقه واقعياً، وإن هذه الشرطية التعبيرية في النص لا تترك مجالاً للمتلقي أن يتصور شيئاً آخر دونها تفكيك مقتنيات جمل النص وتحويلها إلى منظومة وعي جارف يستقي رؤيته الباطنية من تلك المعرفة العقلانية التي تنبسط مع الحقيقة.

إن التفكير والتفكير لا بد له من مرتكزات يقوم عليها من أجل تنميته وتقويته وصولاً إلى تحسين القدرة على ذلك، بغية تحقيق قيمة التفكير والتفكير ذاته؛ لأن أشكال الوعي الاجتماعي الناتج عن تجارب الوعي نفسه تتركس روحية التلاحم والألفة بين أفراد المجتمع، من خلال تفكيك قيمة السلوك الناتج عن معرفة ما خلف ستار التحريف والافتراء على الله سبحانه، بالإضافة إلى معرفة ماهية البدع والتكلف التي تأتي بعد معرفة الكتاب وتلاوته، وهذا يأتي بوساطة المعرفة المسبقة تلك، وهو ما عناه الإمام الحسن عليه السلام بقوله «... فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلف ورأيتم الفرية على الله والتحريف...»؛ لأن معرفة البدع هي مسألة غاية في الأهمية، تتم عبر التمحيص السلوكي الاجتماعي الذي يقوم به المجتمع، كما إن

ذلك يسهم إسهاماً كبيراً في ضبط مسار الفكر والتفكير بالمراقبة والتركيز على نوعية السلوك.

٣. المنهج

هو «الترتيب الصائب للعمليات العقلية التي نقوم بها بصدد الكشف عن الحقيقة والبرهنة عليها»^(١٤)، أو وسيلة محددة توصل إلى غاية محددة من خلال الوعي وفعاليتها، ولكي يصل الوعي الى مدارج الكمال والنظر بعقلية نافذة نحو التكامل لا بد من اتقان المنهج الذي سيكون سبباً في تنمية الوعي نفسه، والمنهج في أبسط تعريفاته _ كما نرى _ هو العمليات التي يقوم بها العقل تتبعها الخطوات العملية المنجزة على أساس ذلك، بهدف الوصول إلى الحقائق والتحقق من الفرضيات بطريقة واضحة تجعل الطريق إلى تحقيق الأهداف واضحة.

ولعل القرآن الكريم حينما وردت فيه لفظة المنهج أو المنهاج في قوله تعالى ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(١٥)، إنما هي التفاتة مهمة لأهمية المنهج وخطورته، لاسيما بعد أن سبقتها كلمة (شريعة) لأن تطبيق الشريعة لا يمكن حصوله إلا بوجود المنهاج المحكم، وهو بذلك يؤسس لتخطيط علمي دقيق يأخذ بنظر الاعتبار كل جوانب المسألة من حيث التشريع الذي تعد المعرفة أساسه الحقيقي، ومنهج تطبيقه مع التشديد على أن ذلك لا يتم دون دراسة محصنة لكل المعطيات التي يمكن أن تؤدي إلى ذلك، والآية الكريمة تشير إلى مفهومين يتكاملان من خلال الوعي بأهمية وجود التكامل بينهما بوصفهما يمثلان باطناً وظاهراً للإنسان، فالباطن هو الشريعة أي المعتقد الذي يؤمن به، ولا قيمة للمعتقد إن لم يتحول إلى منهج حياتي متكامل يسير عليه الفرد في حياته وفي تكامله النفسي الذاتي ثقافياً وأخلاقياً واجتماعياً وسياسياً واقتصادياً... الخ؛ إذ إن الباطن والظاهر وجهان لحقيقة واحدة،

وإن التلازم بينهما هو الاصل في ذلك، في الوقت الذي يمثل انفصالهما أو تعارضهما حالة غير مستساغة بل يدل على وجود حالة انحراف غير مشروعة ومرضية، ولعل الشاعر ابن الرومي التفت الى ذلك التفاتة رائعة، حينما قال في مطلع إحدى قصائده^(١٦):

أمامك فانهج أي نهجك تنهج طريقان شتى مستقيم وأعوج

وبناء على ذلك، فإن خلق الوعي المطلوب يأتي من طريق التراتبية المنشودة بين الاعتقاد والمنهاج؛ إذ لا منهاج من دون شريعة، ولا شريعة من دون منهاج، بالإضافة إلى أن هذا التعاضد بين الشريعة والمنهاج كفيلاً بإنتاج إنسان واع قادر على بناء حياة مستقيمة وصولاً إلى الآخرة التي هي الحصاد الحقيقي لمزرعة الدنيا. وقد أشار النص الحسيني إلى ذلك بطريقة التلميح دون ذكر صريح؛ إذ قال الامام الحسن عليه السلام «ولن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نبذه»، وقد اقترنت الجملة باستعمال أداة النصب (لن) التي تفيد التأييد، مما يعني أن الربط الفكري في هذه الإشكالية لا يمكن تفكيك أدواته الإجرائية إلا بتعاقب الخطوات المؤدية إلى المعرفة وفق المنهج الحقيقي من خلال التمسك بالمنهج الذي هو الميثاق، والامسك بالميثاق هو كناية وإشارة إلى مفهوم ذلك المنهج الصحيح، لكن ذلك لم يكن ليحصل إلا بشرط معرفي يؤسس لوضوح المنهج وطبيعة تناوله، فهو عليه السلام يقول «... حتى تعرفوا الذي نبذه...»، وهذا يجعلنا أمام إشكالية توظف المنحى الذي يمكن اختياره لمن يريد الامسك بالميثاق، وإن حل هذه الإشكالية التي يثيرها النص ليس بالأمر الهين؛ لأن ذلك مرتبط بمعرفة المنهج المغاير المنحرف عن جادة الصواب، فالنصيحة نافذة المعرفة من طريق تشخيص الذي نبذ المنهج القويم وانحرف عنه، وبهذا يحصل تحديد المسار الصادق والصحيح في الولوج إلى طريق المعرفة الصادقة.

إن التمييز بين الطريقتين المستقيم والمنحرف لا يمكن أن يكون دون وعي حقيقي بطبيعة الانحراف والعاملين فيه، في الوقت الذي يكون فيه فرز علمي للاستقامة والعاملين فيها، وإلى ذلك أشار أمير المؤمنين علي عليه السلام حينما قال «... إني لعلى بينة من ربي ومنهاج من نبيي، وإني لعلى الطريق الواضحة لقطه لقطاً...»، وهو بذلك يحدد ما يمكن اتباعه؛ إذ بين أولية المعتقد يقوله «... إني لعلى بينة من ربي...»، ثم أردف بالمنهاج بقوله «... ومنهاج من نبيي...» وبعد ذلك يذكر النتيجة التي تحصل من وراء ذلك وهي وضوح الطريق التي جاءت بسبب صحة المعتقد ومصداقية المنهج، ولذلك عبر الامام الحسن عليه السلام بقوله «... ولن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نبذه...» عن تلك المسألة المهمة في حياة الفرد والمجتمع؛ لأن تشخيص الانحراف من خلال الوعي بحقيقته ومخاطره وتأثيره السلبي في الحياة الاجتماعية وبكل تفاصيلها، يمثل صحوحة حقيقية تؤدي بالنتيجة إلى صيرورة الوعي الناضج القائم على أساس المعرفة، بالإضافة إلى تحديد النص الحسني لأهم السلوكيات الأخلاقية وهي التواضع والتذلل والتسليم لله سبحانه وتعالى، في قول الإمام الحسن عليه السلام «... فإن رفعة الذين يعلمون ما عظمة الله أن يتواضعوا، وعز الذين يعرفون ما جلال الله أن يتذللوا له، وسلامة الذين يعلمون ما قدرة الله أن يسلموا له ولا ينكروا أنفسهم بعد المعرفة ولا يضلوا بعد الهدى...»؛ إذ إن تلك المفاتيح الأخلاقية تقع في القمة من منظومة القيم الفاعلة في منهجية الوعي، كونها تقمع تلك الأنا الفاضحة الجالبة لكل سلوك نزق، ولعل ربط النص لمفاهيم متعددة في نصية مضغوطة في مفردات قليلة، يشير إلى ذلك الترميز الذي قلنا عنه إن النص الحسني يميل إليه؛ لأن كينونته الوجودية تتطلب ذلك؛ إذ ربط بين رفعة المؤمن وتواضعه ومستوى العلم بذلك، وبين عزة المؤمن وتذلل الله ومستوى المعرفة بذلك، وسلامة المؤمن وقدرة الله ومستوى العلم بذلك، وهو ما يمهد طريق الوعي

الناضج لمعرفة مقننة تنسج خيمتها على ضوء خطوط المنهج الواضحة، واشترط في ذلك من طرف خفي، عدم انكار النفس بعد المعرفة، وعدم الضلالة بعد الهدى؛ لأن ذلك يمثل ميثاقاً معقوداً ومأخوذاً عليهم، وهو ما أشار إليه بقوله عليه السلام في ما بعد «... ولن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نبذه، ولن تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذي حرّفه...»، كأنه هنا يشير في ترميز واضح إلى تلك المسألة الهامة في كينونة الوعي وارتباطه بمرحلة الاختمار الفكري الواعي المنتجة للوظائف والصفات القائمة على أساس التمايز بين الأشياء في الوقت الذي تتحول فيه مرآة الوعي ذاته إلى طور التكوين والاستقرار المعرفي.

٤. العقلانية

عرف العقل على أنه أشرف المخلوقات بلحاظ الحديث القدسي الذي ينص على أن الله تبارك وتعالى أمره بالإقبال والادبار فاستجاب لذلك من دون أعتراض، وعرفه بعض العلماء أنه «الجوهر المجرد في ذاته وفعله»^(١٧)، فضلاً عن أن القرآن الكريم قد أورد ألفاظ العقل في آياته بما يربو على (٥٠) موضعاً، ما يدل على تلك الأهمية التي يراها القرآن الكريم للعقل، ولعل قراءة متأنية للنص الحسيني -موضوع البحث- تجعل الباحث يرى أن العقل في النص الحسيني لم يقصد به العقل المتعارف عليه فلسفياً ومنطقياً، بل ذهب النص إلى ماهية الوظيفة المنوطة بالعقل، بما لا يجعل العقل الجوهرية يتحول إلى شيء غير ذي قيمة، بل إن النص الحسيني، أراد تلك الوظائف التي يقوم بها، وعليه جاءت الإشارة إليه في نهاية النص بقوله «... واعقلوه اذا سمعتموه عقل رعايته ولا تعقلوه عقل روايته...»، فالعقل هنا لا يقصد منه المخلوق الذي أشرنا إليه آنفاً، بل المقصود منه وظائفية العقل التي يؤدها؛ إذ أوضح النص الحسيني ذلك بالنص حينما قال عليه السلام «... واعقلوه اذا سمعتموه عقل

رعايته ولا تعقلوه عقل روايته...»، ما يعني بالعقل هنا هو الوظيفة، والرعاية هنا هي التفاعل مع ما هو معروض من العلم وحمله بشكل واع يقوم على الفهم العميق والوعي بمتطلبات تطبيقه وأبعاد ذلك في التفاعل مع الأشياء المحيطة من خلال المنهج القرآني، في الوقت الذي تعني فيه الرواية أنها لم تكن سوى لهاث غرائزي انفعالي غير مرتبط بالعقلانية المنهجية، دون فهم لحركة النص القرآني وعلاقته بحركة الكون وتبعات ذلك في عدم اتباع المنهج القرآني؛ لأن رواية القرآن الكريم دون وعي، تعدّ عملية تكوّن نفسي وروحي وسلوكي تفتح أبواب الفوضى على الذات والمجتمع بطريقة لا أخلاقية في اندفاع غير محسوب نحو الصعود الغرائزي، وتجميد العقل بشكل مخيف.

... الخلاصة ...

استعرض البحث مفهوم الخلق والبناء في النص الحسيني بشيء من الاختصار، وأوضح البحث هذين المفهومين وعلاقتها بالنص، بوصفه نصاً ينتمي إلى دائرة الوجود الكبرى، فوجده البحث نصاً يرسم للإنسان دائرة الوعي المنتج الذي يقوم على مجموعة مرتكزات، تسهم في ديمومة نشاطه، فضلاً عن كونها تؤسس لعمل منطقي ينسجم والحركة العقلانية للكون، وأشار البحث إلى تلك المرتكزات التي هي (المعرفة، والتفكير والتفكير، والمنهج، والعقلانية) بوصفها تؤلف نمطاً من العلاقات الناهية التي تنظم الحياة الفردية ناهيك عن الحياة الاجتماعية بشكل أشمل.

١. تحف العقول ٦٤، ابن شعبة الحراني، قدم له وعلق عليه الشيخ حسين الأعلمي، د.ت
٢. لسان العرب مادة خلق.
٣. المصدر نفسه.
٤. المصدر نفسه مادة بني.
٥. مفهوم الانسان عند ماركس ٣٧.
٦. العلاقة بين اللغة والفكر ٢٣.
٧. مفهوم الانسان عند ماركس ٣٨.
٨. تجديد الوعي ٩، د. عبد الكريم بكار، دمشق - سوريا، دار القلم، ط ١ - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
٩. نظرية المعرفة عند مفكري الاسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين ١٧.
١٠. أصول المعرفة والمنهج العقلي ٦٤.
١١. كتاب المحاسن، ١٣٧. جلال الدين الحسيني، دار الكتب الاسلامية، قم ط ١، ج ١.
١٢. غرر الحكم ودرر الكلم ٣٥٢. الأمدى، تحقيق عبدالحسن دهيني، دار الهادي، ط ١، ١٩٩٢ م.

١٣. ينظر: العقل والصدق والتاريخ ٣٠٩، هيلاري بتنام، ترجمة د. حيدر حاج اسماعيل، مراجعة غالب الناهي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، ط١-٢٠١٢م.
١٤. المدخل الى مناهج البحث العلمي ٥٢، د. محمد قاسم، دار النهضة العربية، بيروت ط١-١٩٩٩.
١٥. سورة المائدة الآية (٤٨).
١٦. الديوان ج ١ / ٤٩٢، تحقيق د. حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ط٣ - ٢٠٠٣م.
١٧. العقل عند الامامية ٩٢، د. رشدي محمد عرسان عليان، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت-لبنان، ط١-٢٠٠٨م.

المصادر والمراجع

١. أصول المعرفة والمنهج العقلي، الشيخ الدكتور أيمن المصري، المركز الثقافي العربي، د.ت.
٢. تحف العقول، ابن شعبة الحراني، قدم له وعلق عليه الشيخ حسين الأعلمي، د.ت.
٣. تجديد الوعي، د. عبدالكريم بكار، دمشق، سوريا، دار القلم، ط١ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٤. ديوان ابن الرومي، تحقيق د. حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ط٣ - ٢٠٠٣م.
٥. العقل والصدق والتاريخ ٣٠٩، هيلاري بنتام، ترجمة د. حيدر حاج اسماعيل، مراجعة غالب الناهي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ط١ - ٢٠١٢م.
٦. العقل عند الامامية، د. رشدي محمد عرسان عليان، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت - لبنان، ط١ - ٢٠٠٨م.
٧. العلاقة بين اللغة والفكر، دراسة للعلاقة اللزومية بين اللغة والفكر، د. أحمد عبدالرحمن حماد، دار المعرفة، الاسكندرية - مصر، د، ط، ١٩٨٥م.
٨. غرر الحكم ودرر الكلم. الأمدي، تحقيق عبدالحسن دهيني، دار الهادي، ط١، ١٩٩٢م.
٩. كتاب المحاسن. جلال الدين الحسيني، دار الكتب الاسلامية، قم ط١، ج١.
١٠. لسان العرب لابن منظور، بيروت - لبنان، دار صادر.
١١. المدخل الى مناهج البحث العلمي، د. محمد قاسم، دار النهضة العربية، بيروت، ط١ - ١٩٩٩.
١٢. مفهوم الانسان عند ماركس، اريك فروم، ترجمة محمد سيد رصاص، دار الحصاد، دمشق، سوريا، ط١ - ١٩٩٨م.
١٣. نظرية المعرفة عند مفكري الاسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين، د. محمود زيدان، مكتبة المتنبّي، د. ط، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

